رسالة الأب الحبري -نيسان 2013

عرب الحبر لله عن عرفانه بالجميل على انتخاب البابا فرنسيس. معتبراً أنّ قيامة المسيح، هي حقيقة تاريخيّة، وأساس إيماننا، وهو يدعونا للعمل على توطيد ملك الأرض عبر مساندتنا، العاطفيّة والعمليّة،لسائر الّذين هم بحاجة إليها.

أبنائي الأعرّاء جدّاً، ليخفظكم يسوع!

مع إنتخاب البابا الجديد والحديث جدّاً، كنّا شهوداً لزمن مهمّ في حياة الكنيسة. ولقد خبرنا كما في كلّ حدث مشابه عمل المعرّى، واستخلصنا ما أكّده بنديكتوس السادس عشر في بداية خدمته البابويّة :" الكنيسة حيّة – هذا هو الإختبار المميّز في هذه الأيّام . (...) الكنيسة شابّة. وهي تحمل في ذاتها مستقبل العالم، ولذلك فهي تظهر أيضاً لكلّ منّا الطريق نحو المستقبل. الكنيسة حيّة ونحن نري ذلك : ونختبر الفرح الّذي وعد به القائم خاصتته. " (1)

وفي " العمل " إستقبلنا اختيار البابا فرنسيس بفرح عظيم، متّحدين بالكنيسة. ولقد حمل هذا الإختيار غنى روحياً ورغبات جديدة للتحسين. وإنّ عيد القدّيس يوسف، وهو اليوم الّذي فيه افتتح الحبر الأعظم رسميّاً خدمته كراع أعظم للكنيسة الجامعة ، قد أوضح بامتياز بأن الربّ ووالدته القدّيسة والقدّيس يوسف يسهرون على الكنيسة في كلّ لحظة. فعروسة المسيح لا يمكن على الإطلاق أن توجد وحيدة وسط مفاجآت ومنعرجات وجودها.

لقد طرح البابا فرنسيس السؤال التالي : " كيف عاش يوسف دعوته كحارس لمريم، وليسوع، وللكنيسة ؟ " وأحاب :" بانتباهه الثابت لله، منفتحاً على علاماته، مستعداً لتحقيق مشروع الله، لا مشروعه الشخصي. وهذا ما طلبه الربّ من داوود (...). إن الله لا يُعجب في بيت بناه الإنسان، بل يرغب في الأمانة لكلمته، ولتصميمه : إنّ الله هو الّذي يبني البيت، ولكن بأحجار حيّة مدموغة بروحه. ويوسف هو " الحارس" لأنّه يتقن الإصغاء لله، ويترك لإرادة الله أن تقود نفسه، ومن أجل ذلك تحديداً يضحي شعوره مرهفاً تجاه الأشخاص، المؤتمن عليهم، فهو يجيد قراءة

الأحداث بواقعيّة، منتبهاً لكلّ ما يحيط به، كما يحسن أخد القرارات الأكثر حكمة." (2) وكما لفتُّ اتباهكم قبل الإنتخاب، وعدت فأكّدته لكم بعد ذلك، على ما جاء على لسان مؤسّسنا بالنسبة إلى ذلك وإلى كلّ أمر، نحن نحبّ البابا الجديد بعاطفة عظيمة فائقة الطبيعة وإنسانيّة معاً. وفي فائقة الطبيعة وإنسانيّة معاً. وفي خدمته الأولى المهمّة جداً ، بصلاتنا وإماتاتنا الغزيرة.

أمس إبتدأ الزمن الفصحي. ونشيد ال"
هللويا " المملوء فرحاً المرتفع إلى
السماء من سائر جهّات الأرض، يظهر
إيمان الكنيسة الثابت بسيّدها. فبعد
موته المؤلم على الصليب، قبل يسوع
من الآب، بواسطة الروح القدس، حياة
جديدة – حياة مليئة بالمجد في أقدس
أنسانيّتها – كما نعترف به كلّ أحد في
فقرة من قانون الإيمان. إنّ يسوع الإنسان الكامل –والّذي مات على عهد

بيلاطوس البنطي وقبر، قام في اليوم الثالث، كما جاء في الكتب (3)، لكي لا نموت من بعد،فتكون قيامته عربوناً لقيامتنا المستقبليّة وللحياة الأبديّة التي إيّاها ننتظر.إذا لنعلن مع الكنيسة : حقّاً إنّه لواجب ولائق أن نمجّدك ، أيّها الربّ، في كلّ وقت، وبنوع خاص في هذه الأيّام، حيث ذبح المسيح فصحنا. لأنّه الحمل الحقيقي الّذي رفع خطيئة العالم : فبموته هدم موتنا، وبقيامته أعاد إلينا الحياة. (4)

لنحاول إذاً، وبمعونة المعزّي، ترسيخ سرّ الإيمان العظيم، الّذي ترتكز عليه الحياة المسيحيّة كما البناء على أساساته. " إنّ سرّ قيامة المسيح " كما ينقله لنا التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة الواضحة، كما يؤكّد ذلك التعهد الجديد " (5) وهذا ما شرحه القدّيس بولس لمسيحيّي كورنتس : " فاننى سلمت اليكم في الاول ما قبلته فاننى سلمت اليكم في الاول ما قبلته

انا ايضا ان المسيح مات من اجل خطايانا على ما جاء في الكتب و انه دفن و انه قام في اليوم الثالث ثم ظهر للصفا وللاثني عشر ".(6)

إنّ العلامة الفارقة في قيامة المسيح تكمن في واقع إنسانيّته الكليّة القداسة، حين اتحدت نفسه بجسده يقوّة الروح القدس، فتحلّى بكلتته في مجد الله الآب. إنّه واقع تاريخي أعلنه شهود صادقون. أضف إلى ذلك أن تلك الحقيقة هي أحدى ركائز الإيمان المسيحي الأساسيّة . إنّ الربّ " بجسده القائم قد عبر من حالة الموت إلى حياة أخرى أسمى من الزمان والمكان. إنّ جسد يسوع غدا، بالقيامة، ممتلئاً من قوّة الروح القدس : إنّه يتّحد بالحياة الإلهتة بحالة المحد، لذلك يسمّى القدّيس بولس المسيح : " الإنسان السماوي ". (را**حع 1 قور 15 / 35 –** (7)(50 لنتأمّل في ما كتبه القدّيس خوسيماريّا في إحدى عظاته :

" إنّ المسيح حيّ. يسوع هو الـ "عمّانوئيل" : ألله معنا. قيامته تكشف لنا أنّ الله لا يتخلّى عن أحبّائه. إنّ المسيح يحيا في كنيسته."غير أنّي أقول لكم الحقّ : إنّه خير لكم أن أذهب. فإن لم أذهب، لا بأتبكُمُ المؤتد. أمّا إذا ذهبت فأرسله إليكم"[1]. **(يو 16/** 7)تلك كانت مخطّطات الله: بموته على الصّليب، أعطانا يسوع روح الحقّ والحياة. فالمسيح يسكن في كنيسته: في أسرارها، وليتورجيّتها، وكرازتها، وكلّ نشاطها. لقد استقرّ المسيح حاضرًا بيننا، بطريقة خاصّة، في هذه العطيّة اليوميّة، ألا وهي الإفخارستيّا المقدّسة. ولذلك فالقدّاس هو محور وأساس الحياة المسيحيّة. وفي كلّ قدّاس، ألمسيح حاض دائمًا بكلّيّته، رأسًا وجسمًا. به، معه، وفيه. لأنّ المسيح هو الطّريق، والوسيط : فيه نجد كلّ شيء؛ وبدونه حياتنا فراغ. لذا نتجرّاً ونقول :" أبانا " بيسوع المسيح الّذي علّمنا ، أن نتجرّأ فندعو أبًا ربّ السّماوات والأرض.إنّ حضور يسوع الحيّ في القربانة المقدّسة هو ضّمانة، وأساس وكمال حضوره في العالم.(8)

إن يسوع القائم هو أيضاً معلّم العالم، وهو ستّد التاريخ : فما من أمر يحصل دون إرادته أو سماحه به، بحسب تصميم الله الخلاصي. والقدّيس يوحنّا يقدّمه لنا في كلّ مجده في سفر الرؤيا فيقول : وفي وسط السبع المناير شبه ابن إنسان، متسربلا بثوب إلى الرجلين، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب واما راسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار ورحلاه شبه النحاس النقي، كأنهما محميتان في أتون. وصوته كصوت مياه غزيرةوفي يده اليمني سبعة کواکب، وسیف ماض ذو حدین پخر ج

من فمه، ووجهه كالشمس وهي تضيء بلمعان بـهيّ. (9)

انّ سلطة الرب على العالم وعلى الناريخ تفرض على تلاميذه أن يعملوا بكلّ قواهم على إرساء ملكوته على الأرض. فالمقصود إذاً هو لا أن نحبّ الله وحسب من كلّ قلوبنا وكلّ نفوسنا، انَّما أن نحتَّ اخوتنا محتَّة عاطفتَّة وعمليّة، بالعمل والحق، (10) وبنوع خاص الَّذين هم بأمسّ الحاجة. لذلك نفهم حِيّداً ما كتبه القدّيس خوسيماريّا :فراغ الصّبر، والغمّ، ورغبات النفوس المسبحيّة بطبيعتها(راجع **ترتوليانوس، الدفاع 17)**، والمضطربة ، لا تستطيع تقبّل الظّلم الشخصيّ والإجتماعيّ الّذي بمقدور القلب البشريّ اجتراحه. عديدة هي قرون التّعايش بين البشر، ومقدار الحقد والدمار يتفاقم، والتّعصّب يزداد يوماً فيوماً، كلَّها تتراكمفي نظرة أولئك الَّذين لا يريدون أبدًا أن يَرَوا، وفي قلب

أولئك الّذين لا يريدون أبدًا أن يحبّوا. (11)

لقد أظهر البابا الجديد منذ اللحظات الأولى لحبريته إهتماماً خاصاً بهذه الناحيّة، كما تعلمون. فلنتابع محاولاتنا لإيصال محبّة المسيح إلى القريب ولنعتن بهعناية روحيّة وماديّة كلّ في محيطه، مدفوعين بمثال وتعاليم القدّيس خوسيماريّا. فليحقّق ذلك كلّ يحسب أسلوبه الخاص، جادّين في البحث عن مشاركة آخرين يشاطرونناهذا الإهتمام بالّذين يعانون من حاجة ما. ولا ننسينّ أن " عمل الله " ولد وتقوّبمشيئة الله، بين فقراء ومرضى الأحياء البعيدة في مدريد، وقد اهتم مؤسّسنا بهم، بمجانيّة وبطولة، مكرّساً الوقت الوفير، في سنوات " العمل " الأولى. وقد كتب سنة 1941 : لا ينبغي أن أذكّركم.لأنّكم تحيونه على الدوام، يأنّ " " عمل الله "أيص النّور بين فقراء مدريد،في المستشفيات

والأحياء الأشد بؤساً : فلنتابع اهتمامنا بالفقراء، وبالأولاد والمرضى. إنّه تقليد لن يتوقّف إطلاقاً في مسيرة " العمل ". (12)

لقد ختم القدّيس خوسيماريّا بعد بضعة سنوات، هذا التعليم بكلمات واضحة، وعلى الرغم من مرور الزمن، حافظت على حداثتها، فكتب موضحاً : " في عصر الضياع هذا حيث بات جهل معرفة اليمين والوسط واليسار واضحآ في الحقلين السياسي والإجتماعي. ولكن إذا كان بواسطة اليسار يتمكّن الفقراء من الحصول على حياة أفضل، فتتأمّن لهم حقوق الحياة البدائيّة : المعيشة اللائقة، العمل، الطبابة في حال المرض، التسليّة من وقت لآخر، إنجاب البنين وتربيتهم، وتأمين الإهتمام بـهم في شيخوختهم، أكون أنا من اليسار أكثر من أي جهة أخرى فيضحي ذلك انسجاماً طبيعياً مع إطار تعليم الكنيسة الإجتماعي، ويعيداً عن أي تأمر مع

الروح المركسيّة، أو مع الماديّة الملحدة، أو مع صراع الطبقات المعاكسة للمسيحيّة، لأنّه لا يمككنا أن نختلف حول تلك النقاط. (13)

اِنّ مؤسّسنا عاني بنوع خاص من النقص في الحبّ والمحبّة تجاه الفقراء الَّذِي نجِدِه غالباً حتَّى عند المسيحيّين. إنّ خيرات الأرض موزّعة بين البعض ؛ خيور الثّقافة محصورة في الندوات الأدبيّة وفي الخارج جوع إلى الخبز والمعرفة. والحياة البشريّة، مع أنّها مقدّسة، كونها آتية من الله ، تُعامَلُ وكأنّها أشياء بسيطة، أو عناصر حساب إحصائيّ. إنّي أتفهّم وأقاسم فراغ الصّبر هذا، الّذي يجعلني أرفع عينيّ نحو المسيح، الَّذي يدعونا بلا انقطاع إلى وضع "وصنة المحنة الحديدة هذه" حنّذ التنفيذ .فكلّ الأوضاع الّتي نواجهها، في مسيرة حياتنا، هي بمثابة رسائل إلهيّة، تتطلُّب منَّا جواب حبَّ، وهبة ذات للآخرين.(14)

يا بناتي وأبنائي، لنتأمّل هذه الكلمات، ولنجعلها ترنّ في آذان الكثيرين، لكي تلمع تلك الوصيّة الجديدة وصيّة المحبّة في حياة الجميع، ولتكن كما أرادها يسوع علامة تلاميذه الفارقة. (15) وانّي أريد أن نرسّخ في أذهاننا كلمات الإنجيل هذه :" ففرح التلاميذ إذ رأوا الربّ " (16).بعد قيامة يسوع، إمتلأ الرسل فرحاً لرؤية الرب. لنعتبر نحن ايضاً أنّ الربّ يتابعنا عن قرب، وعلينا أن نكتشفه ونتأمّله في سائر ظروف حياتنا اليوميّة، الفائقة العادة والعادية. ولنكن مقتنعين بما أكَّده القدّيس خوسيماريّا : إذا لم نجد يسوع المسيح في حياتنا اليوميّة، لن نجدهعلي الإطلاق. والآن وبعد انتصار المسيح، وبعد أن بُلّغنا التأكيد بأن المسيح يتّكل علينا، هلاّ وجّهنا نمط حياتنا على إيقاع جديد، الفرح المملوء سلاماً ؟ وهل لنمط حياتنا مضمون واضح، فائق الطبيعة وإنسانيّ معاً ؟

طيلة هذا الشهر، وإضافة إلى فرح الكنيسة بمناسبة أعياد الفصح وحدث انتخاب خليفة بطرس الجديد، لدينا فيما يعود إلينا، أسباباً إضافيّة للفرح، بنوع خاص ذکری مناولة القدّیس خوسیماریّا وقبوله سّ التثبيت في 23 من الشهر الجاري. يا لها من مناسبة سعيدة لكي نلتمس منه شفاعته لدي الربّ، حتّى يمن الربّ، في الأسابيع المقبلة، على البابا فرنسيس وعلى الكنيسة وعلى البشريّة بأسرها ، بغزارة نوره وبقوّة الروح القدس! لن أخفي عليكم بأنّي أتصفّح تاريخ " عمل الله " بفرح، تاريخ مراحم الله، وألتمس من الثالوث الأقدس، أن تحيوا أنتم أيضاً تلك الأحداث، لا كذكريات بسيطة، بل بفرح من يري يد الله في طريق " العمل " وفي حياة القدّيس خوسيماريّا.

بكلّ عاطفتي ، أبارككم أبوكم + خافيير

روما في الأوّل من نيسان 2013

- (1) بنديكتوس السادس عشر، عظة القدّاس الإفتتاحي لخدمته البابويّة، 24 نيسان 2005
 - (2) البابا فرنسيس، عظة القدّاس الإفتتاحي لخدمته البابويّة، 19 آذار 2013
 - (3) كتاب خدمة القدّاس، قانون الإيمان النيقاوي – القسطنطيني.
 - (4) كتاب خدمة القدّاس، الصلاة الإفخارستيّا الأولى (الخاصّة بعيد الفصح).
 - (5) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، عدد 639.
 - (6) 1 قور 15 / 3 5
 - (7) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، عدد 646.

- (8) القدّيس خوسيماريّا إسكريفا، عندما يمرّ المسيح، عدد 102
 - (9) رؤيا 1 / 13 16
 - (10) 1 يو 3 / 18
- (11) القدّيس خوسيماريّا، عندمتا يمرّ المسيح، عدد 111
 - (12) القدّيس خوسيماريّا، توجيه، 8 كانون الأوّل 1941، عدد 57
- (13) القدّيس خوسيماريّا، توجيه، أيّار 1935 / 14 أيلول 1950، الفقرة 146
 - (14) القدّيس خوسيماريّا، عندما يمرّ المسيح، عدد 111
 - (15) راجع يوحنّا 13 / 34 35
 - (16) يوحنّا 20 / 20
 - 5. يو 16 : 7

pdf | document generated automatically /https://opusdei.org/ar-lb/article from (2025/11/21) /2013-3